قراءة في تاريخ العلاقات السياسية الجزائرية – المغربية (1516– 1912)

أ. غيلاني السبتي– جامعة باتنة-

مقدمة:

إن من يبحث في تاريخ العلاقات الجزائرية -المغربية، يجد بأنه كانت بينهما علاقات قوية، وهي علاقات حسن الجوار ووحدة الدين واللغة التي تربط البلدين بالإضافة إلى العادات والتقاليد بين سكان المناطق الحدودية للبلدين، ولاسيما في اشتراكهما في محاربة الغزو الإسباني؛كلها عناصر جوهرية لقيام روابط التفاهم والأخوة.

فالجزائر والمغرب الأقصى، موضوع الدراسة، قطران لا حواجز طبيعية تفصل بينهما، حيث كانا يخضعان لحكم دولة واحدة، وهي دولة الموحدين 1146م- 1296م[1] هذه الدولة التي ترتبط بأول داعية لها وهو المهدي بن تومرت الذي كان حلمه إقامة دولة إسلامية قوية بالمغرب الإسلامي بعد أن رأى ضعف الخلافة الإسلامية بالمشرق وكانت دولة الموحدين قوية عسكريا، حيث تمكنت من السيطرة على البحر الأبيض المتوسط وجبل طارق .

ولكن في القرن الثاني عشر الميلادي عرفت هذه الدولة فوضى في تسيير شؤونها، وخاصة في عهد محمد الناصر، وبذلك فقدت دولة الموحدين هيبتها مما حدى بعدئذ بالقبائل في الجزائر والمغرب وتونس للتمرد والامتناع عن دفع الضرائب.[2]

فكانت النتيجة أن انقسمت دولة الموحدين إلى ثلاث دويلات وهي:

- الدولة الحفصية في تونس (المغرب الأدنى) وشرق المغرب الأوسط ومركزها مدينة تونس 1226م- 1347م.

- الدولة العبد وادية أو الزيانية 1235م- 1554م في وسط وغرب المغرب الأوسط ومركزها مدينة تلمسان.

- الدولة المرينية في المغرب الأقصى 1248م، وكان مركزها فاس.

وكانت كل دويلة من هذه الدويلات الثلاثة تريد أن تسيطر وتبسط نفوذها على كامل المنطقة المغاربية، و بالفعل تمكنت الدولة المرينية، التي سعت من سنة 1258م إلى 1358م إلى توحيد المغرب بالقضاء على الدولتين الحفصية والزيانية، لكنها سرعان ما تراجعت قوتها نتيجة تمرد الأمراء على السلطة المركزية للدولة، مما اضطرها

للتخلي عن الدولة الحفصية لتركز جهودها بعد ذلك لإخضاع تلمسان لسيادتها،وفعلا تحقق لها ذلك، ولكن لفترة قصيرة لا تزيد عن عقد واحد أي من سنة 1374م إلى 1384[3].

ومن سنة 1384 إلى سنة 1420م، ازداد ضعف الدولة المرينية، فلم يعد سلاطينها باستطاعتهم التدخل في مملكة تلمسان؛فخلفتها الدولة الوطاسية من سنة 1420م إلى سنة 1504م، ولكن انشغال هذه الأخيرة بمحاربة البرتغاليين والأسبان، خاصة المنشقين عن السلطة، جعلها تتخلى عن تلمسان[4].

الظاهر أن العلاقات بين الزيانيين والمغرب الأقصى في هذه الفترة كان يغلب عليها طابع الصراع والنزاع ومحاولة التوسع وفرض الهيمنة. وفي خضم هذه النزاعات ظهر في منطقة البحر الأبيض المتوسط الإخوة بربروس في مطلع القرن السادس عشر الميلادي،حيث ذاع صيتهم وانتشرت أخبار بطولاتهم، مما سيغير مجريات الأحداث في المنطقة المغاربية، وخاصة العلاقات الجزائرية –المغربية التي ستعرف تحولا كبيرا في ظل ظهور الإخوة عروج.

أولا: جهود بابا عروج في بناء علاقات جزائرية – مغربية 1512- 1518

إن ظهور الإخوة أبناء يعقوب في حوض البحر الأبيض المتوسط والمنطقة المغاربية وأيضا التواجد الإسباني سيخرج الكيانات المذكورة من حلبة الصراع ليصبح دورهم دور المتفرج أو المتعاون مع هذا الطرف أو ذاك[5].

وفي سنة 1517م أطاح بابا عروج مؤقتا بالسلطان الزياني أبا حمو الثالث،حيث أزاحه عن حكم مدينة تلمسان وضمها لمدينة الجزائر.بعد هذا التاريخ ظهرت بوادر العلاقات بين دولة الجزائر والمغرب الأقصى، حيث أرسل بابا عروج إلى سلطان فاس محمد البرتغالي الوطاسي عرضا أبدى رغبته في إقامة علاقات أساسها التحالف ضد العدو المشترك البرتغاليون والأسبان[6].

يبدو أن عروج كانت نيته إقامة علاقات حسن الجوار مع سلطان فاس، ومساعدته في ما إذا تعرض لحملة إسبانية أو برتغالية لأن الأسبان المتواجدين في وهران والمرسى الكبير لم يرغبوا في وجود بابا عروج في تلمسان التي أعلنت لهم الولاء وأبدى حكامها النية في التعاون مع الأسبان للوقوف في وجه طموحات بابا عروج في إقامة دولة قوية في المغرب الأوسط لكونها قادرة على إحباط المراوغ الإسباني في المنطقة وفي البحر البيض المتوسط[7].

وبما أن الوطاسي في حاجة ماسة إلى مثل هذا التحالف، فقد رحب ترحيبا شديدا بعرض بابا عروج.

طلب بابا عروج مساعدة محمد البرتغالي الوطاسي، ولكن لم يصل من قبله شيء، ويجب أن نذكر بأن الحصار الذي ضربه الأسبان على مدينة تلمسان دام قرابة الستة أشهر وهي مدة كافية لوصول المدد من قبل الوطاسي، ولكنه لم يفعل،ويبدو أن الجانب المغربي لم يكن جادا في ربط علاقات وطيدة إلى حد التحالف بينه وبين دولة الجزائر بقيادة بابا عروج، فبالرغم من أن الأخير يستطيع أن ينسحب من تلمسان دون أي ضرر سيلحق به، ولكن وعد السلطان أخره عن الانسحاب، ونتيجة لذلك قرر بابا عروج فك الحصار والخروج من تلمسان مع قواته، ولكن أدركه الأسبان وحلفاؤهم من الزيانيين، حيث دارت معركة بينهم في وادي المالح غرب عين تموشنت استشهد فيها القائد بابا عروج وكان ذلك سنة 1518[8].

الظاهر أن محمد البرتغالي الوطاسي تعمد عدم مساعدة بابا عروج لأسباب نذكر منها:

1- قد يكون هناك تفاهم مسبق بينه وبين الأسبان في عدم مساعدة بابا عروج وبالتالي قد يكسب ودهم ويسترجع مليلية المستعمرة من طرفهم.

2- يريد أن يتخلص من عروج - الذي أصبح مشكلة تؤرق الجميع (الأسبان – الزيانيين، الحفصيين والمرينين) - لصده عن دخوله فاس.

وكلا الاحتمالين وارد وهما في الأساس يخدمان العدو أكثر من السلطان المغربي الذي لم يكن في مستوى التحالف الذي ربطه معه بابا عروج لمحاربة العدو المشترك.

ثانيا: العلاقات الجزائرية –المغربية في عهد خيرالدين 1518- 1535

بطبيعة الحال بعد استشهاد بابا عروج، واعتلاء خيرالدين القيادة في مدينة الجزائر،عرفت العلاقات السياسية الجزائرية المغربية انقطاعا إلى غاية 1531م عندما غير محمد البرتغالي الوطاسي سياسته وانتهج سياسة جديدة، وهي التقرب من الدولة الجزائرية، والاعتراف بالسلطة الروحية للسلطان العثماني،وللتعبير عن حسن نيته تجاه الجزائريين سمح لسفن الدولة الجزائرية بقيادة خيرالدين بالرسو بتيطوان والعرائش للتزود منها بالحبوب والمؤن[9].

وعرفت العلاقات الجزائرية المغربية تحسنا، كانت نتائجه لم ترض الطرف الفرنسي، هذا الأخير الذي طلب من المغرب والجزائر فتح أسواقهما أمام المنتجات الفرنسية.

الظاهر أن فرنسا أرادت أن تضايق غريمتها في حوض البحر الأبيض المتوسط،وبالفعل تضايقت إسبانيا من هذه العلاقة التي تجمع بين الجزائر والمغرب

وفرنسا وخوفا من أي اعتداء جزائري مغربي عليها لم تتأخر في تعزيز مواقعها في شمال المغرب.

وعملت كذلك كل ما في وسعها للضغط على الوطاسيين لقطع علاقاتهم مع الجزائريين، لكن هذه الضغوطات لم تجد آذانا صاغية لدى المغاربة؛ بل استمرت هذه العلاقات وتعززت بشكل ملفت للانتباه؛ وصلت إلى حد بعيد من التفاهم ،حيث انتقل عدد كبير من الجزائريين للعمل في بلاط الوطاسيين وفي صفوف الجيش كذلك، واستمرت هذه العلاقات إلى غاية 1549م تاريخ نهاية حكم الوطاسيين وبداية الحكم السعدي[10].

وليس غرضنا هنا تتبع المراحل التي مرت بها هذه التحولات السياسية سواء في المغرب أو الجزائر ولكن دارستنا تنصب على العلاقات بين البلدين، وحسبنا أن نحاول باختصار معرفة نوع العلاقات الجزائرية المغربية في ظل حكم السعديين.

ثالثا: العلاقات الجزائرية –المغربية في ظل صراع المغاربة على السلطة في المغرب الأقصى.

كان البرتغاليون يتخوفون من العلاقات الحسنة التي تربط بين الجزائريين والمغاربة،فبادرت البرتغال إلى عقد معاهدة سلام بينها وبين المغرب،وهذا من أجل منع الجزائريين من الدخول إلى المغرب الأقصى، ولم يتأخر السعديون في إبرام هذه المعاهدة،بعدها مباشرة عرفت العلاقات الجزائرية- المغربية توترا كبيرا بسبب إقدام السعديين في سنة 1550م على غزو مدينة تلمسان. مما زاد الأمر تعقيدا في العلاقات بين البلدين ومالت إلى العداء والعنف الشديدين، ولم ترق هذه العلاقات إلى مستوى التعاون والتضامن لإسقاط المشروع الإسباني، والبابوي، الذي جابهته الجزائر لوحدها وتمكنت عام 1792 بالقضاء عليه بصفة نهائية.

كانت العلاقات الجزائرية-المغربية من سنة 1551 إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 يسودها التفاهم تارة والتوتر تارة أخرى من جراء محاولة المغرب احتلال معسكر وتلمسان ووهران، لكن جيوشه كانت في كل مرة تسحق على يد قوات الدولة الجزائرية.

ونستنتج أن الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب كانت الأنانية والنفاق هما الميزتان لسياستهم تجاه الجزائر، حيث يلجأ ون إلى الجزائريين في أوقات ضعفهم، لكن دون أن يتخلوا عن ربط تحالفات مع الأسبان والبرتغاليين لغزو الجزائر.

رابعا: العلاقات الجزائرية –المغربية بعد سقوط دار السلطان (الجزائر) العاصمة سنة 1830

يتفق معظم الكتاب الجزائريين والمغاربة الذين تناولوا أحداث الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 وما بعدها على أن سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن ،لم يفرط في البرهنة عن التعاطف مع الجزائر في محنتها،وهذا التعاطف الذي بدأ منذ الحصار البحري الفرنسي الذي ضُرب على شواطئ الجزائر منذ 1827، وبعد احتلال مدينة الجزائر في سنة 1830، ونتيجة للاضطهاد الذي حل بالجزائريين؛ هاجرت عشرات الأسر الجزائرية إلى المغرب الأقصى، فكان تعاطف سلطان مراكش مع هذه العائلات الجزائرية تعاطفا في المستوى الذي تطلبه أواسر الأخوة وفي هذا الصدد أصدر تعليماته إلى عامله في تيطوان يوصيه بمساعدة الجزائريين حيث يقول في رسالته "هم منا وإلينا ولا ندخر عنهم شيئا من المعونة إن تمكنا"[11]. ولم يكتف السلطان بذلك بل أوصى عامله أيضا بالانتفاع بمواهب الجزائريين وتوظيفهم في الخدمات والمهن التي يجيدونها،لكي لا يبقوا عرضة للضياع والإهمال وقد جاء في كتابه مايلي "وبعد... فقد بلغنا أن أهل الجزائر الذين يردون منها،ردها الله دار إسلام؛فيهم البحرية والطبجية ،والعارفون بصنع البنبه والكورة والمدافع والمهارس.... فبوصول كتابنا هذا إليك اخترهم وأضف كل فريق إلى أهل خطته وأعلمنا بهم، فإنهم إن أهملوا بقوا عرضة للضياع"[12].

وأمام هذا الاهتمام الذي أولاه سلطان المغرب للجزائريين، تزايد عددهم، حيث وصل في نهاية القرن التاسع عشر إلى حوالي ثلاثمائة عائلة جزائرية، فأصبحوا ملاك في مختلف الميادين[13].

ولقد أبدى السلطان كذلك مساعدته لداي الجزائر عقب إمضاء معاهدة الاستسلام سنة 1830، حيث عبر عن استعداده لاستقباله،هو وحاشيته بمدينة تطوان إلا أن هذا الأخير قرر الاستقرار في مصر، أما الشعب المغربي فقد عبر عن تضامنه الشديد مع الشعب الجزائري إثر سقوط مدينة الجزائر[14].

أما الكتاب الفرنسيين فيرون بأن سلطان المغرب قد عبر عن ارتياحه لسقوط الجزائر لأن سقوطها يعطي الفرصة للسلطان بالانفراد بالخلافة الإسلامية في المغرب الأقصى، يمكن أن يكون هذا الرأي أقرب إلى الصواب بالنظر إلى الحروب التي خاضها الجزائريون والمغاربة ولكنه في المقابل فتح أبواب بلاده للمهاجرين الجزائريين الفارين من بطش الاستعمار الفرنسي. لكن في حقيقة الأمر أن وجود سلطة غير إسلامية متسلطة في الجزائر سببت لسلطان المغرب الأقصى متاعب كبيرة غير التي كان ينتظرها.

وعلى أية حال استمرت العلاقات الثنائية التي ارتكزت على حسن الجوار والمصالح المشتركة بين الشعبين الجزائري والمغربي وصلت إلى حد أن سلطان المغرب الأقصى كان يبعث ممثلين عنه لحل الخلافات التي تنشب بين أهالي تلمسان[15].

لكن فرنسا لم تترك استمرار هذه العلاقات على حالها لأنها تعكر صفو احتلالها للجزائر،ومخافة منها في تحالف الشعبين لمحاربتها، فقامت بالضغط على سلطان المغرب للحد من مساعدته للجزائريين، لأنها تريد أن يكون كل الجزائريين تحت سلطتها ولا تقبل بسلطة غيرها، ولا تقبل المساعدات من أي أحد كان.

خامسا: العلاقات الجزائرية –المغربية في ظل مقاومة الجزائريين للا تلال الفرنسي

(أ)- العلاقات الجزائرية – المغربية في عهد الأمير عبد القادر: منذ عام 1833 بدأ الأمير عبد القادر اتصالاته بسلطان المغرب طالبا منه مساعدته على الجهاد الذي يخوضه ضد المستعمر الفرنسي،فلبى سلطان المغرب نداءه فأرسل له مساعدات تتمثل في الإمدادات العسكرية، وشجع كذلك القبائل على مساعدته وتقديم العون له،فبقيت العلاقات متينة بين الطرفين ليس فقط السياسية منها بل التجارية كذلك بين قبائل الحدود حتى سنة 1843؛ أين خاض الأمير عبد القادر مع الفرنسيين معركة بقرية طاقين قرب مدينة بوغار وهو متوجها إلى جبال عمور، حيث تفوَّق عليه الفرنسيون، وأسروا حوالي ثلاثة آلاف شخص من أتباعه وقواته واستولوا على معظم مؤنه وذخائره[16] ومن بينها مكتبته الخاصة وكاد هو نفسه أن يقع في الأسر.

وبعد أن فشل الأمير عبد القادر في تحقيق صلح مع الفرنسيين بالجزائر وفرنسا لأن بيجو كان يصر على استسلام الأمير ومن معه؛ لجأ الأمير إلى مراكش، حيث كان سلطان المغرب وقتها يعاني من مشاكل داخلية منها ثورات بعض القبائل،ومن ثمة اعتذر له عن تقديم المساعدات العسكرية ،حيث قال في رسالة وجهها له "إننا نتمنى الحضور بأنفسنا، في غمار المسلمين، مباشرة القتال بأيدينا بين صفوف المسلمين ، ولكن ما نحن فيه من قمع العتاه وكف البغاة جهاد، بل أفضل من جهاد النصارى حسبما نص على ذلك إمامنا مالك رحمه الله ونية المرء خير من عمله والسلام"[17].

غير أن فرنسا لم ترض بوجود الأمير عبد القادر بمراكش فاحتجت لدى سلطان المغرب احتجاجا شديد اللهجة طالبة منه إخراجه من بلاده،لكن بحكم العلاقات التي تربط الأمير بسلطان المغرب رفض طلب فرنسا، حيث رد على السلطات الفرنسية، بأن الأمير قد سيطر على بلاد الريف لهذا السبب فهو عاجز على إخراجه من المغرب الأقصى. ولكن فرنسا لم تسكت بل زادت في ضغوطها على سلطان المغرب والأمير عبد القادر معا، بل تعدت إلى أبعد من ذلك، فحشدت قوات كبيرة، وتوجهت هذه القوات إلى الحدود المغربية لتراقب ما يجري في بلاد السلطان.

كررت السلطات الفرنسية طلبها لسلطان المغرب بضرورة إخراج الأمير عبد القادر من المغرب الأقصى، فرفض السلطان طلبها مرة أخرى؛ فلجأت الحكومة الفرنسية إلى استعمال القوة، فأمرت قواتها بقيادة الجنرال بيجو بشن حرب على القوات المغربية، وبالفعل ألحقت هزيمة كبيرة بجيش السلطان وهذا عام 1844.

وأمام هذا الوضع وجد السلطان نفسه غير قادر على مواصلة تعنته في عدم الرضوخ للمطالب الفرنسية فمال إلى الصلح مثلما مالت فرنسا إلى ذلك، وتم عقد الصلح بينهما في 12 سبتمبر 1844 والذي سمي بمعاهدة طنجة[18].

وكانت هذه المعاهدة تعد مكسبا عظيما لفرنسا إذ أحرزت لأول مرة على اعتراف خارجي بشرعية وجودها في الجزائر.

تعهد السلطان بموجب هذه الاتفاقية بعدم تقديم أية مساعدة بالسلاح أو الذخيرة أو أية مساعدة حربية لرعايا فرنسا الثائرين أو لأعدائها، واعتبار الأمير عبد القادر خارجا عن القانون في جميع الأراضي المغربية وفي الأراضي الجزائرية وسيطارد بالسلاح من طرف الفرنسيين في الجزائر ومن طرف المغاربة في المغرب الأقصى، حتى يغادر طواعية أو يتم اعتقاله، وفي هذه الحالة يتعهد السلطان بأن يسجنه في إحدى المدن الساحلية في غرب المملكة وذلك حتى تتفق الحكومتان على الإجراءات الضرورية لمنع الأمير عبد القادر من حمل السلاح مرة أخرى[19].

وعلى أية حال فإن المعاهدة المذكورة أعلاه قد تعززت باتفاقية أخرى في 18مارس 1845 سميت باتفاقية لَلاّ مغنية والتي تم بموجبها رسم الحدود الجزائرية المغربية التي تمتد من الساحل إلى ثنية الساسي ببني سناسن والأطلس الصحراوي، ولقد كانت معركة إيسلي، وقصف طنجة والصويرة وما تلى ذلك من الأحداث ذات أثر على السلطان، الذي اعتقد أن سبب هذه الكوارث كلها ليست بسبب سياسته التي تجاهلت زمنا طويلا ما يجري على الحدود الشرقية لبلده وإهماله الاستعداد لمواجهة انقضاض عدو جيرانه عليه، بل السبب هو وجود الأمير عبد القادر ولولا وجوده لتركه الفرنسيون وشأنه.

فألف جيشا ضخما يتكون من حوالي خمسة آلاف جندي، أسند قيادته إلى ابنيه أحمد ومحمد، وكلفهما بمحاربة الأمير عبد القادر الذي اضطر للدفاع عن نفسه وأتباعه وحصلت بينه وبين الجيش المغربي معركة طاحنة يوم 15 ديسمبر 1847 على ضفاف نهر ملوية تكبد فيها جيش السلطان خسائر فادحة. يبدو أن الأمير عبد القادر حفاظا على ما تبقى من أتباعه قرر الرجوع إلى الجزائر فعبر النهر متجها إليها بمحاذاة الساحل.

وخلاصة القول أن سلطان المغرب ضعف أمام السلطات الفرنسية،ولم يستطع نصرة الجزائريين الذين لجئوا إليه، بل حاربهم وقتلهم وشردهم، إلا من فر منهم عند

عامة الشعب المغربي الذي فتح ذراعيه للشعب الجزائري، حيث تضامن معه في محنته، أضف إلى ذلك فشل السلطان المغربي في تحقيق أطماعه التوسعية على حساب الجزائر، خوفا من بطش الجيش الفرنسي.

في ختام هذه المرحلة التي كانت مرحلة حاسمة في تاريخ العلاقات بين سلطان المغرب والأمير عبد القادر الذي وجد نفسه في نهاية الأمر مطاردا ومحاصرا من القوات الفرنسية في الشرق ومن القوات المغربية في الغرب، فقرر بتاريخ 22 ديسمبر 1847، أن يسلم نفسه بعد أن استشار أتباعه بخصوص الجهة التي يسلم لها نفسه للفرنسيين بدلا من سلطان المغرب قائلا: "أفضل ألف مرة أن أثق فيمن حاربني على من خانني"[20].

ب- العلاقات الجزائرية –المغربية في عهد الشيخ بوعمامة : بعد النهاية المأسوية لمقاومة الأمير عبد القادر بن محي الدين ،سنحاول معرفة العلاقات بين المغرب الأقصى وزعماء المقاومة الشعبية مركزين على مقاومة الشيخ بوعمامة. الذي أشعل فتيل المقاومة انتهت بتدمير زاويته وتزايد ضغط القوات الاستعمارية عليه ،مما اضطره إلى الانسحاب إلى منطقة فقيق بالمغرب الأقصى[21].

وخوفا على مصالحه المتعلقة بكرسي العرش سارع السلطان في إصدار أمرا صارما للشيخ بوعمامة استدعاه للمثول أمامه،غير أن الشيخ لم يثق في سلطان المغرب؛فانتقل في سنة 1883 إلى الشمال بمنطقة الظهرا التي يعتبرها منطقة آمنة؛فاستقر بها حتى سنة 1894، حيث كانت هذه المدة كافية ليكسب الشيخ بوعمامة العديد من الأنصار.

في سنة 1892 أدركت المفوضية الفرنسية بطنجة، ما أصبح عليه بوعمامة من نفوذ روحي، وتأييد قبلي، وقوة حربية بالمناطق الصحراوية، وعليه فقد قررت الضغط على السلطان لحمله على القبض على بوعمامه وتسليمه لها.فقرر السلطان المغربي محاربة الشيخ بوعمامة بكل الوسائل،حيث دخل الشيخ في معارك مع المخزن المغربي تكبد فيها رجال المخزن خسائر كبيرة،واعتبر بوعمامة أن السلطان المغربي خارج عن الشرع الإسلامي مادام يقتل المسلمين ترضية للأجانب[22].

استمرت السلطات المغربية في محاربة بوعمامة إرضاء للسلطات الاستعمارية، فلجأت إلى القبض على نجله الطيب، حيث سجنته بفاس، فأصبح التقارب بين السلطان المغربي والشيخ بوعمامة مستحيلا، وأصبح كذلك الطيب وسيلة ضغط فرنسية مغربية على والده الشيخ بوعمامه، حيث طلبت السلطات الفرنسية من السلطان المغربي إطلاق سراح نجل بوعمامه وبذلك ذهبت جهود المغرب سدى لاستمالة الشيخ بوعمامة

إليها،حيث أفرجت عن ابنه الطيب، وسلمته للمفوضية الفرنسية في سنة 1906، بعد أن تكفلت الأخيرة بإبعاده عن نواحي الحدود[23].

يتبين لنا بالرغم من الضغوط التي مارسها الطرفان المغربي والفرنسي على بوعمامة وحصر مقاومته على لحدود، إلا أنه أثبت قدرته على المقاومة وطول النفس،وعرقلة التوسع في المنطقة، وعدم استسلامه إلى السلطان المغربي، ولا إلى السلطات الفرنسية.

لكن الظروف الصحية للشيخ بوعمامة، وسنه المتقدمة أعجزاه عن العمل الحربي،وأجبراه على العمل السياسي إلى أن توفي في 8 أكتوبر 1908، حيث تولى ابنه الطيب أمور الزاوية،غير أن نفوذها تلاشى بسرعة ، فأصبح الطيب بوعمامه يجمع بين المشيخة ووظيفة القائد[24].

وأما السلطان المغربي ونتيجة تذبذب مواقفه اتجاه الجزائر لم يجن شيئا ،حيث استطاعت فرنسا فرض معاهدة الحماية على المغرب الأقصى في 30 مارس 1912 ،ولم يبق للسلطان المغربي إلا السيادة الاسمية فقد أصبحت فرنسا صاحبة السلطة والسيادة في المغرب الأقصى[25].

والواقع أنه في الفترات السابقة التي تعرضنا إليها في بحثنا هذا كانت العلاقات الجزائرية المغربية ترعاها إرادة الشعب، أما الموقف الرسمي فقد كان في عمومه موقفا مخجلا.

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى موقف غير موضوعي لبعض المؤلفين المغاربة الذين كتبوا بشكل عام عن العلاقات الجزائرية المغربية، حيث أرجعوا أسباب التدهور في العلاقات إلى شيوخ المقاومة الجزائرية.

على أية حال أصبحت الجزائر مستعمرة فرنسية منذ سنة 1830، والمغرب الأقصى سقط تحت الحماية الفرنسية سنة 1912، وكلا البلدين يعتبر من الناحية القانونية فاقدا للسيادة.وعليه فإن تأسيس الحركة الوطنية في كلا البلدين أصبح ضروريا ذلك ما جعل زعماء الحركة الوطنية في الجزائر والمغرب يبحثون عن تشكيل تحالف مغاربي لمكافحة الاستعمار الفرنسي المشترك، وهو الذي تم بالفعل من خلال تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة يتولى المطالبة باستقلال البلدين.

خاتمة:

يمكن أن نخلص إلى القول بأن العلاقات الجزائرية – المغربية في فترة الدراسة كان فيها البلدان يبحثان على تقوية نفوذهما في المنطقة المغاربية، حيث تريد الجزائر- باعتبارها دولة قوية في المنطقة في كونها هزمت شرلكان عام 1954- أن تبسط سيطرتها على المنطقة المغاربية، ولكن المغرب نظرا لظروف معينة ظل بصورة عامة خارج سيطرة الجزائر ،على الرغم من المحاولات المتعددة والمتكررة للسيطرة عليه،مما أدى إلى خلق جو من عدم الثقة أثر سلبا على العلاقات بين البلدين لكن المغرب الأقصى كان هدفه الأساسي التوسع على حساب الأراضي الجزائرية مستغلا في ذلك تحالفاته مع الأسبان أحيانا والحفصيين أحيانا أخرى لضرب استقرار الجزائر، لكنه لم يفلح في ذلك، وعلى العموم كانت هذه العلاقات في معظمها يسودها الحذر الشديد حتى دخول المغرب تحت الحماية الفرنسية التي أفقدته سيادته ،وعلى الرغم من ذلك فقد وقف الجزائريون وقفة مشرفة بكل الوسائل المتاحة لهم مع إخوانهم المغاربة لمحاربة الاستعمار الفرنسي المشترك.

الهوامش:

[1]- Attallah (Dhina: (Le Royaume Abdelouadide à L'époque D'abouhammou moussa 1er et d'Aboutachfin 1er,OPU-Alger,1985,p 17et p20.

[2]- بوحوش (عمار): التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص- ص 40-41.

[3] -ATALLAH ,OP.CIT, p22

[4]- بن خروف (عمار): العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن السادس عشر الميلادي، ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006، ص 73.

[5]- أجقو (علي): دور قلعة الجهاد (مدينة الجزائر)، في منع تكرار مأساة الأندلس في المغرب 1516،1541" مجلة آفاق للثقافة والتراث، السنة 14، عدد 56، 2007، دبي، ص 96.

[6]- بن خروف: مرجع سابق، ص 82.

[7]- أجقو: مرجع سابق، ص 96.

[8]- لمزيد من المعلومات أنظر أجقو علي مرجع سابق ص 97 وما يليها.

[9]- وداعة الحسناوي (حبيب): "الصراع التركي- السعدي 1549م-1557م" أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، أيام 20-23 ديسمبر 1995، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، 1995، ص 184.

[10]- بن خروف، مرجع سابق، ص- ص 83-88.

[11] معريش(محمد العربي)، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873-1894،دار الغرب الإسلامي - بيروت ،ط1 ، 1989 ،ص 26

[12]- قاصري (محمد السعيد)، العلاقات الجزائرية المغربية1830-1847 (الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجا) رسالة ماجستير نوقشت أمام جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة،2001، ص 16

[13]- نفس المرجع، ص 17.

[14]- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 89

[15]- حرب (أديب)، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، ط 2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2004، ص 382.

[16]- حرب (أديب)، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري ،ج2 ، ط 2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2004،ص 452 .

[17]-وعز (يحي)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج1، ط 2، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، سنة الطبع مجهولة ، ص 48.

[18]- العروي (عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب (3) ،ط1،المركز الثقافي- المغرب، 1999، ص 127.

[19]- إسماعيل (العربي): العلاقات الديبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص- ص 247،246.

[20]-وعزيز، مرجع سابق، ص56.

[21]- مياسي (إبراهيم): "الشيخ وعمامة والجنرال سويه وجها لوجه "مجلة الذاكرة، عدد 4، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 211.

[22] - زوزو (عبد الحميد): ثورة وعمامة 1881-1908، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1983، ص ص18-33

[23] -رحاب: مرجع سابق، ص 120.

[24] -رحاب: مرجع سابق، ص 177

[25] شارل(أندري جوليان): أفريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 65